كتاب الغافقي

في المفردات الطبية

ان بلاد الفراعنة تحوي كنوزاً ثمينة منها اثرية ومنها تاريخية وهي لا تنحصر في التماثيل والنقوش والكتابات الهيروغليفية ونحوها بل فيها مصاحف وكتب قديمة بعضها على ورق البردي بلغات مختلفة تنطق بعادات البلاد وتاريخها وبعضها مخطوطات عربية وقبطية وسريانية لا مثيل لها في بلدان اخرى

قال لي بعض الاثريين ان علماء السريان تركوا لنا في القطر المصري مخطوطات عديدة منها باللغة السريانية ومنها بالعربية. وقال ايضاً ان مكاتب اوربا الكبيرة ولاسيما مكاتب رومية وباريس ولندن مشحونة بالمخطوطات التي جلبت من القطر المصري

واظن ان جانباً كبيراً من هذه المخطوطات لا يزال مدفوناً في اطراف هذا القطر بعضهُ عند اصحابهِ في البيوتات القديمة وبعضهُ مدفون تحت الابنية التي اسقطتها كوارث الايام

والعجب ان كتباً كثيرة لكتّاب العرب او لمؤلفي السريان كان الواجب ان تكون محفوظة في بر الشام او في بلاد العراق لانها كتبت في تلك الديار وجدت في مصر ولا نزال نجد منها شيئاً كثيراً

اذكر لذلك مثلاً وهو انهُ منذ نحو سنتين وقع تحت يدي نسخة من القرآن كتبت في القرن السابع للهجرة وقد اتاني بها احد تجار الفيوم وزعم انها وجدت في بعض خربانها كتب في آخرها : «كتبهُ ياقوت بن عبدالله في شهور سنة ثلاثين وستمائة حامداً لله تعالى على نعمهِ ومصلياً على نبيهِ محمد وآله الغرر الطاهرين»

ومعلوم ان الخطاطين المشهورين الذين عُرفوا باسم ياقوت كياقوت الحموي او الرومي وياقوت الملكي وياقوت الموصلي وياقوت المستعصمي سكنوا جميعاً بلاد الشام او العراق ولم اجد ترجمة لياقوت بن عبد الله كاتب هذا المصحف بل اظن من تاريخ كتابتهِ انهُ ابن ياقوت الرومي صاحب معجم الادباء

وهذه النسخة موجودة الآن في خزانة العالم الجليل صاحب الفضل الاثيل احمد باشا تيمور . وهي غير المصحف الموجود في خزانة دار الكتب السلطانية المخطوط بيد ياقوت المستعصمي

والذي زادني عجباً كتاب مخطوط وقفت عليهِ في الآونة الاخيرة لاحد علماء السريان وقد فقد من البلاد السورية موطنهِ فوجدتهُ في مصر مصوناً معتنًى بحفظهِ في منزل المرحوم أقلاديوس بك لبيب الاثري القبطي المشهور بتآليفهِ لاسيما في علم اللغة القبطية. وقد عرفت هذا الرجل قبل وفاته وكنت اتردد عليهِ معجباً بجدهِ وكدهِ وكان يتكلم اللغة القبطية ويعلمها لاولادهِ وهم لا يزالون يتكلمونها. فذهبت منذ عهد قريب لزيارة اسرتهِ بعد وفاتهِ ولأرى ما تركهُ من الكتب القديمة. فلقيت لطفاً ومجاملة من آل بيتهِ واطلعوني على ما بقي في خزانتهِ من الكتب المطبوعة والمخطوطات القبطية والعربية

ومما لفت انظاري كتاب نفيس من نوادر المخطوطات العربية جاء فيهِ ان مؤلفهُ او جامعهُ هو غريغوريوس مفريان الشرق . فاخذتني الدهشة حينما قرأت هذا الاسم لاني اعرف ان مفريان الشرق ما هو الاَّ ابو الفرج بن أهرون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري وهو سرياني الملة مولدهُ في ملطية وقد سكن انطاكية وطرابلس وحلب ودمشق حيث حظي عند الملك الناصر فرفع مكانتهُ ثم انتقل الى مدينة سيس ومات في مراغة من اعمال اذربيجان . ومما هو اغرب من ذلك ان الكتاب المذكور مخطوط في ايامهِ اي انهُ خط سنة ٦٨٤ هـ وكانت وفاة ابن العبري سنة ٦٨٥ هـ

والظاهر ان اصحاب هذا الكتاب احضروهُ الى مصر ليبقى لنا اثراً من آثار هذا العلاَّمة الشهير ومن آثار احد اطباء الاندلس النطاسيين وهو ابو جعفر احمد ابن محمد بن احمد بن السيد الغانمي

فشكراً لهذه اليد البيضاء التي حفظت هذا الكنز الثمين بعد اختفائهِ عن الابصار مئات من السنين

ولم يسمح لي ان انظر الى هذا المخطوط الاَّ ساعة من الزمان لا تكفي لان اصفهُ حق الوصف واذكر منافعهُ وفضلهُ على غيرهِ من كتب المفردات الطبية فاقول باختصار انهُ كتب اسمهُ واسم واضعهِ هكذا

« مختصر الغانمي »

« انتخبهُ وحيد العصر علاَّمة الدهر الاب القديس الورع مظهر الحقائق وكاشف الدقائق غريغوريوس مفريان الشرق كمَّل الله سيادتهُ وأيَّد سعادتهُ آمين »

واذا سأل سائل من هو يا ترى الغافقي وما هو كتابهُ . اجبناهُ ان صاحب عيون الانبا ابن ابي اصيبعة ذكرهُ في كتابهِ الجزء الثاني ص ٥٢ اذ قال :

كان الغافقي « ابو جعفر احمد الخ اعرف اهل زمانهِ بقوى الادوية المفردة ومنافعها وخواصها واعيانها ومعرفة اسمائها وكتابهُ في الادوية المفردة لا نظير لهُ في الجودة ولا شبيه لهُ في معناهُ ... الخ »

وهذا الكتاب النفيس اي كتاب الغافقي في الادوية المفردة مفقود ولا يعرف لهُ اثر انما نقل عنهُ ابن البيطار جانباً كبيراً من فوائده في كتابهِ المسمى : « بالجامع لمفردات الادوية والاغذية » ويظهر ان ابن البيطار استفاد من كتاب الغافقي فائدة لا يزدرى بها ورتب كتابهُ على نسق كتاب الغافقي انما اختلف المؤلفان في ترتيب اسماء الاعشاب والنباتات لان الاول أي الغافقي رتبها على حروف الهجاء بحسب الابجدية السريانية والثاني بحسب الابجدية العربية

ومن تصفح الكتابين المذكورين يأتي لهُ ان الفضل في نقل اسماء الاعشاب والنباتات وغيرها عن ديوسقوريدس وجالينوس عائد للغافقي اكثر مما هو لابن البيطار الا ان هذا زاد عليهِ بعض ملحوظاتهِ ونتيجة ابحاثهِ

فكان من بواعث الاسف ضياع كتاب الغافقي الا ان العلامة النحرير غريغوريوس أبا الفرج الملطي سد لنا هذه الثلمة باختصاره هذا الكتاب اختصاراً بالغاً حداً عظيماً من الدقة لانهُ كان راسخ القدم في فن الطب يعدهُ معاصروهُ حكيماً فاضلاً من احذق اطباء عصره (١) فابقى لنا بذلك منافعهُ وفوائدهُ

وقد رسمنا بالفوتوغراف الصفحة الاولى من الكتاب (٢) وفيها ملخص المقدمة التي قدمها الغافقي لكتابهِ وقد نقلناها هنا مع ترك قسم منها وهي هذه :

« بسم الله الرحمن الرحيم قال ابو جعفر احمد بن محمد بن احمد بن السيد الغافقي رحمهُ الله ما معناهُ ملخصاً ان الكتاب الذي كنت شرعت في وضعهِ في الادوية المفردة تذكرةً لنفسي لم احب اذاعتهُ في ايدي الناس لامرين احدهما معرفتي بقلة معرفتهم بالفرق بين ما يوضع على صواب وغير صواب . والثاني كيلا اصير نفسي غرضاً لاقاويل الحساد . وذوو البصيرة والابصار اقل من القليل — فلما

(١) انظر ترجمة ابن العبري في نبذة نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي سنة ١٨٩٨ م

(٢) ان الرسم الفوتوغرافي هو اصغر من الكتاب الذي يبلغ قطعه قطع مجلة المقتطف

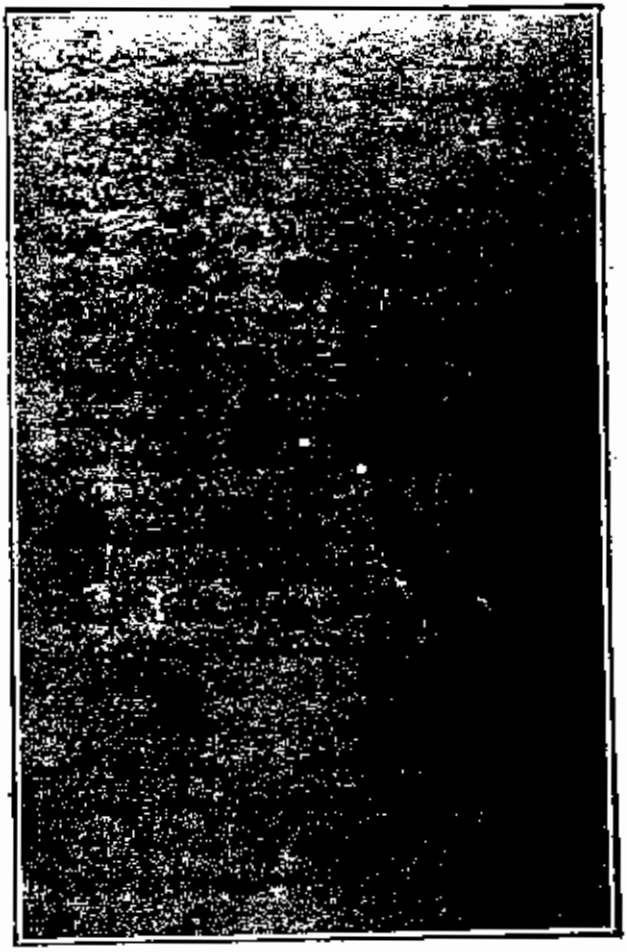

من مختصر الغافقي

مقتطف مارس ١٩٢١

امام الصفحة ٢٣٢

جشمني اتساقهُ بعض الاخوان تقدمت فذكرت غرضهُ ومذهبي فيهِ وهو ايضاً امران احدهما الجمع من اقاويل القدماء والمحدثين في هذا الفن . والثاني الاسماء المجهولة — وهذان الفرضان وان كان قد تقدم فيهما خلق الاَّ انني لم اجد منهم باحثاً عن حقيقة وضعهِ بل اكثرهم مقلدون في غلطهم لاقدمهم فمنهم من غلط في الجمع بين الاقاويل كما فعلهُ ابن وافد حيث جمع بين كلامي ديوسقوريدس وجالينوس في دوائين ظنهما دواء واحداً . ومنهم من كذب كما فعلهُ ابن سينا حيث يحكي عنهما ما لم يقولاهُ . وبالجملة ما من احد تكلم في هذين الفرضين الاَّ وقد غلط الغلط الفاحش من الرازي الذي كان اولهم الى زماننا هذا . وانا بحولهِ تعالى قد تقصيتُ في ذلك ما امكنني محترزاً من الغلط جهدي غير طالب فيهِ الافتخار واستوفيت فيهِ ذكر جميع الادوية التي ذكرها ديوسقوريدس وجالينوس والحقت بقولهما قول من جاء بعدهما مصيباً ونبهت على مواضع التصحيف في الاسماء» . . . . وقال بعد ٧ اسطر « قال العبد الفقير الى رحمة الله تعالى شريفوريوس المغربان وكذلك جعلت غرضي من هذا اختصاري اقتصاري على ذكر صفات الادوية واختيارها والمشهور فقط من اسمائها وقواها دون ما يتخذ منها من الاشربة والادهان وغيرها فكان مع سهولة عملهِ وضآلة حجمهِ نافعاً في شأنهِ بالغاً في فنهِ . وتبتدىء الآن بما شرطناهُ »

فترى من هذه المقدمة كم تقصى ابو جعفر الغافقي في البحث والتنقيب واحترز من الغلط جهدهُ ليجمع بين اقاويل القدماء والمحدثين من المشهورين

وكتابهُ كان اساساً بنى عليهِ ابن البيطار مؤلفهُ في مفردات الادوية والاغذية. ومن محاسن النسخة التي نحن بصددها انها مكتوبة بخط واضح جميل الى الغاية

والكتاب مبدوء بالفهرس في اربع صفحات فيها اسماء النباتات والاعشاب والادوية وغيرها المشروحة في الكتاب ويتقدم كل اسم حرفان بالاحمر فالاول منهما حرف من اسم الطبيب صاحب الموضوع والثاني منهما اشارة الى المقالة من كتابهِ

وفي آخر الكتاب تاريخ كتابتهِ هكذا :

« تم انتخاب كتاب الغافقي في الادوية المفردة وحسبي الله ونعم الوكيل وذلك في اواخر ربيع الآخر من سنة اربع وثمانين وستمائة والحمد لله رب العالمين »